ان يشوبه شي من منافاة النجاة من غير علمه بذلك فيفوض علمه الى مشية الله تعالى ولذا قيل ينبغي
للمومن ان يتعوذ بهذا الدعا صباحا ومسا اللهم اني اعوذ بك من ان اشرك بك شيا وانا اعلم واستغفرك
لما لا اعلم انك انت علام الغيوب قال ابن الهمام ولا خلاف فانه لا يقال انا ان شا الله تعالى
للشك في ثبوت الايمان للحال والا كان الايمان منفيا بل ثبوته في الحال مجزوم به غير ان بقاه
الى الوفاة وهو المسمى بالايمان الموافاة غير معلوم ولما كان ذلك هو المعتبر في النجاة كان هو الملحوظ
عند المتكلم في ربطه بالمشية وهو امر مستقبل فالاستثنا فيه اتباع لقوله تعالى ولا تقولن
لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله انتهى ولا يخفى ان ما نحن فيه ليس داخلا في عموم مفهوم
الاية لانها في الامر المستقبل وجود الابقا والكلام في استثنا الموجود حالا لا على احتمال انه
ربما يعرض له حال لا يوجب له زوالا ولهذا مثل مشايخنا هذا الاستثنا بنحو قوله انا شاب
ان شا الله حيث يحتمل انه يصير شيخا وهو ليس تحته طايل وداخل تحت قوله تعالى ولا
تقولن لشي اني فاعل لا يقول به قايل هذا وقال بعضهم الايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت
صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلاة التي افسدها صاحبها قبل الكمال والصيام الذي
يفطر صاحبه قبل الغروب وهذا ماخذ كثير من الكلابية من اهل السنة وغيرهم وعند هولا
ان الله يحب في الازل من كان كافرا اذا علم منه انه يموت مومنا فالصحابة ما زالوا محبوبين
قبل اسلامهم وابليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر بعد كذا ذكره
شارح عقيدة الطحاوي وفيه ان الايمان اذا تحقق بشروطه كيف يكون كالصلاة التي افسدها
صاحبها قبل كمالها والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب ولما بنوا على هذا الاساس الواهي صار
طايفة منهم غلوا فيه حتى صار الرجل منهم يستثني في الاعمال الصالحة بقوله صليت ان شا الله
ونحو ذلك يعني القبول ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شي فيقول احدهم هذا ثوب ان شا الله
هذا جبل ان شا الله فاذا قيل لهم هذا لا شك فيه يقولون نعم لكن اذا شا الله ان يغيره وسياتي
تحقيق مزيد لذلك واما ما اجاب الزمخشري عن قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله من
ان الله يكون الملك قد قاله فاثبت قرانا وان الرسول قاله فكلاهما باطل لانه جعل من القران
ما هو غير كلام الله فيدخل في وعيد من قال ان هذا الا قول البشر والحاصل ان المستثني
اذا اراد الشك في اصل ايمانه منع من الاستثنا وهذا لا خلاف فيه واما اذا اراد انه مومن
كامل او ممن يموت على الايمان فالاستثنا حينئذ جايز لا ان الاولى تركه باللسان وملاحظته
بالجنان **ومنها ما يتفرع على هذه المسئلة** وهو ما نقل عن بعض الاشاعرة انه يصح
ان يقول انا مومن ان شا الله بنا على العبرة في الايمان والكفر والسعادة والشقاوة بالخاتمة
حتى ان المومن السعيد من مات على الايمان وان كان طول عمره على الكفر والعصيان والكافر
الشقي من مات على الكفر وان كان طول عمره على التصديق والشكر كما يدل عليه حديث ان احدكم
ليعمل عمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل
النار فيدخلها وان احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل عمل اهل الجنة فيدخلها وانما الاعمال بالخواتيم وكما يشير اليه قوله تعالى
فسجدوا الا ابليس وكان من الكافرين حيث دلت الاية على ان ابليس لم يزل كافرا مع صحة ايمانه
وكثرة طاعاته قبل خلق ادم عليه الصلاة والسلام حتى عد من الملايكة الكرام فظهر
ان المعتبر هو ايمان الموافاة الواصل الى اخر الحياة وكذا قوله صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد

في بطن

في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه فان المراد بالسعادة فيه السعادة المعتد بها من علم
الله تعالى انه يختم له بالسعادة وكذا في جانب الشقاوة ولذا قال ارباب العقايد السعيد
وهو المتصف بسعادة الايمان بظاهر الحال قد يشقى بان يرتد في المال والشقي قد يسعد
في المقال والافعال والتغيير يكون على السعادة والشقاوة دون الاسعاد والاشقا فانهما
من صفات الله سبحانه لان الاسعاد تكوين السعادة والاشقا تكوين الشقا ولا تغير على
الله ولا على صفاته فلا يلزم من تغيرهما ان يكون علم الله متغيرا فان القديم لا يكون محلا
للحوادث فعلى هذا يصح ان يقال في قوله تعالى وكان من الكافرين اي وصار منهم كما ان
العارفين قالوا الارتداد علامة عدم الاسعاد فمن رجع فانما رجع عن الطريق فان السعيد
الحقيقي لم يزل عن التحقيق واليه الاشارة بقوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويومن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي لا انقطاع لوصلها ومن حكم
شيخ مشايخنا ابي الحسن البكري اذا دخل الايمان القلب امن السلب وقال القونوي فان
قيل انما يجوز الاستثنا للخاتمة قلنا هذا واجب عندنا لكن لا كلام فيه انما الكلام
في الايمان وان كفر بعد ذلك اي بعد الايمان لا يتبين انه لم يكن مومنا قبل الكفر
كابليس فالسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد وعند الاشعري العبرة للختم ولا عبرة للايمان
من وجد منه التصديق في الحال ولا الكفر من وجد منه التكذيب للحال فان كان في علم الله
ان هذا الشخص المعين يختم له بالايمان فهو للحال مومن وان كان يكفر بالله ورسوله وان
كان في علمه تعالى انه يختم له بالكفر يكون للحال كافرا وان كان مصدقا لله ورسوله وقالوا
ان ابليس حين كان معلما للملايكة كان كافرا واستدلوا بقوله تعالى وكان من الكافرين اي كان
في علم الله واجيب عن الاية بان معناه وصار من الكافرين قال شارح العقايد والحق
انه لا خلاف في المعنى بل الخلاف في المبنى فانه ان اريد بالايمان والسعادة مجرد حصول
المعنى اي الاذعان وقبول العبادة فهو حاصل في الحال وان اريد ما يترتب عليه النجاة
والثمرات فالمال فهو في مشية الله تعالى لا قطع بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول
اراد الاول ومن فوض الى المشية اراد الثاني انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق
والله ولي التوفيق **ومنها ان تكليف ما لا يطاق غير جايز** خلافا للاشعري
لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها واختلف اصحابه في وقوعه والاصح
عدم الوقوع ثم تكليف ما لا يطاق هو التكليف بما هو خارج عن مقدور البشر كتكليف الاعمى
بالابصار والزمن بالمشي بحيث لو اتى به يثاب ولو تركه يعاقب واما التكليف بما هو ممتنع
لغيره كايمان من علم الله انه لا يومن مثل فرعون وابي جهل وساير الكفار الذين ماتوا على الكفر
فقد اتفق الكل على جوازه ووقوعه شرعا واما قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
استعاذة عن تحميل ما لا يطاق لا عن تكليفه اذ عندنا يجوز ان يحمله جبلا لا يطيقه بان
يلقي عليه فيموت ولا يجوز ان يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب
فلا جرم صحت الاستعاذة عنه بقوله ربنا ولا تحملنا وانما ذكر التحميل في هذه الاية والحمل
في الاية الاولى لان الشاق يمكن حمله بخلاف ما لا يكون مقدورا ثم التحقيقات للعبد
مقامين احدها قيامه بظاهر الشريعة وثانيهما شروعه في بيدا المكاشفة وذلك ان
يشتغل بمعرفة الله وطاعته وشكر نعمته ففي المقام الاول طلب ترك التشديد وفي المقام

Copyright King Saud University